ما السبب ؟ لا أزال أبحث عنه ولكني واثق أني ساجده إني على يقين أنه بين ضلوعي بين ضلوعنا جميعا أنا وكل الأحبة في يافا الثانوية بل وكل الأحبة في حارة التفاح في محلة الدرج في غزة بل وعلى إمتداد الأرض الطاهرة فسأبحث عنه أنا واثق ساجده في عمق كياني في روحي أقلقتهم يافا الثانوية بدرجة كبيرة فموقعها على طريق تحركهم وتجمع قرابة خمسمائة طالب فيها يجعلها مركزا حساسا للاحتكاك والصدام والمواجهة شبه اليومية وبعد فترة أدركوا ذلك فقرروا نقلنا منها إلى مدرسة الفرات في أقصى شرق الشجاعية هناك بعيدا جدا عن بيوتنا وعن حركة مواصلاتهم حاولنا طويلا أن نفشل القرار ولكنهم إستماتوا لتنفيرهم فقد أطارت يافا الثانوية كما الكثير من المدارس النوم من عيونهم وتفاقمت الأحداث ولم تنضبط الدراسة بين يافا والفرات والاضراب والمواجهات فكان علي أن أتجه في حياتي وجهة جديدة فالبيت لوازمه كثيرة والوالد لم يعد قادر على تلبية كل تلك الطلبات حيث كبرت به الأيام فقد قارب الستين فبدأت رحلتي في العمل ، أثناء العمل إنتسبت لمدرسة الفالوجا الثانوية في جباليا حيث تمكنت من الحصول على شهادتي الأول الثانوي والثاني الثانوي ولم تسنح الفرصة للحصول على الثانوية العامة مرات قليلة جدا تلك التي أذكر أنني خرجت فيها من البيت مبكرا قبل هذه المرحلة من حياتي أي قبل الساعة السادسة صباحا لكني كنت أدرك أن حركة وضوضاء كثيرة تحدث في شارع صلاح الدين على بعد عشرات الأمتار فقط شرقي

البيت كل صباح ما عدا صباح يوم السبت حيث أعداد كبيرة من العمال يخرجون للعمل في داخل الأراضي المحتلة منذ عام ٤٨ ولم يقدر لي أن أتعرف على حدود هذه الظاهرة بصورة كاملة فمع كل خيط جديد من شعاع الشمس التي تبدأ في الظهور هناك من خلف المنطار تخف الحركة تدريجيا حيث يرحل العمال يحملون طعامهم وأدوات عملهم في حقائب يعلقونها في أكتافهم أو سلات البلاستيك المبطنة بأكياس الخيش أو قطع القماش السميك يرحلون نحو الشمال وما إن تعتمر الشمس الأفق وتقترب ساعة خروجنا للمدرسة حتى تكون الحركة قد تقلصت أو شارفت على الانتهاء حركة الصباح هذه لم يقدر لي أن أعرفها على صورتها وحجمها الحقيقي ولكني كنت أدرك شيئا أوضح عن حركة المساء حيث أراها في معظم الأيام أو أرى فقرات هامة منها حيث أقف مع بعض الأقران عند حافة شارعنا بالقرب من المزلقان نرقب حركة آلاف السيارات من شتى الأنواع عائدة وهي تحمل العمال بعد يوم العمل الطويل لم يقدر لي أن سافرت بعيدا أو خرجت في مشوار طويل تلزمه السيارات فلم أكن أدرك جيدا ماذا يعني هذه الحركة بالضبط لأولئك الذاهبين الآيبين السارحين العائدين وحقائبهم على أكتافهم أو سلاتهم في أيديهم كان الوالد يخرج مثلهم كل صباح ويعود كل مساء والحقيبة معلقة كحقائبهم كنت أدرك جيدا طبيعة محتويات تلك الحقائب وطالما تساءلت هل أن كل هؤلاء الذاهبون الآيبون يتناولون طعام غدائهم مثل والدي ؟ هل كلهم محرومون ما توفره لنا